المحاضرة السادسة: التعليميات: خصائصها

نصل بعد الوقوف على بعض الجوانب المهمة المحّددة للإطار الموضوعي والمنهجي للتعليميات إلى محاولة استخلاص عدد من الخصائص التي تميزها – ولو نسبيا- عن بعض المعارف والتخصّصات نجملها فيما يلي:

1-التجريبية:

تعد التعليميات مختبرا لتجريب المبادئ والنظريات في ميدان عملي بامتياز هو ميدان التعليم ، وهي بالتالي قد تأثّرت بحركة التجريب التي نشطت منذ بداية القرن العشرين، هذه الحركة التي أخذت الأوساط العلمية عامة تتناقل نتائجها وتطبقها علها تمهد الطريق لتحقيق نجاح لم يسبق التوصل إليه.

2- خصوصية المادة الدراسية:

من أهم العوامل التي أثّرت في التعليميات وأسهمت في تميّزها العامل الإبستيمولوجي الذي يرتبط بتطوّر وتجدّد المعارف، وبخاصة ما تعلّق بظهور معارف وعلوم جديدة في بدايات القرن العشرين، أعطت دفعا قويا لفكرة دراسة المواد دراسة علمية، على رأسها الفيزياء والرياضيات والبيولوجيا، وربما يعد مصطلح(la didactique d'une discipline) -الذي وضعه "غانيون"(Gagnon)- دليلا على ذلك، وتعبيرا دقيقا عن ذلك الاهتمام والخصوصية التي توليها التعليميات للمادة الدراسية، وطموحها نحو التوصّل إلى تصوّر علمي صارم ودقيق لعملية التعليم.

3- تضافر التخصّصات:

طرحت فكرة مراعاة خصوصية المادة عند تدريسها نوعا جديدا من **التفاعل** بين العلم الذي يدرس تلك المادة، والعلوم الأخرى التي تدرس حيثيات وأطراف مجال التعليم، وهذا التفاعل لا يفرض

تطبيقا للمعرفة العلمية في مجال تعليمها، ولكن يستلزم تضافرا لعدد من المعارف، بحيث «**تتقاطع** النظريات الخاصة بالمتعلّم، مع نظريات العلم».

ومعنى ذلك أنّها علم متعدّد التخصصات؛ يوظف نظريات ومقاربات ومفاهيم من علوم متصلة به، من حيث انشغالها بالعملية التعليمية كعلوم التربية والنفس والاجتماع والاتصال واللسانيات، فهو حقل معرفي يركب ويمزج بين عدة علوم للحصول على خلاصة قابلة للتوظيف.

وخاصية تعدّد أو تداخل التخصصات لا تعني أنها لا تمتلك وضعيتها العلمية الخاصة، أو أن تلك التخصّصات تقتسمها وتحتويها، ولكن في حقيقة الأمر تسعى إلى استعارة نظريات ومفاهيم متداخلة ومتدخّلة في مجال التعليم.

4– **التعدّدية:** وتعبّر هذه الخاصية عن ذلك التنوّع الذي تتضمّنه التعليميات ، والتمازج الذي تصنعه بحوثها. وتظهر هذه التعدّدية على مستويين:

* *تعّددية ايستيمولوجية:* إذ تعد علما نظريا وتطبيقيا ، لأنها تقوم بتحليل التعليم وانتقاء ما يفيدها من العلوم الأخرى من نظريات، من أجل بناء تصور أو مقاربة خاصة بها، ولكنها لا تكتفي بهذا الجانب النظري؛ بل تتعداه إلى تطبيق تلك التصورات والمقاربات في وضع طرائق ونماذج وتقنيات، ثم تتعدى ذلك إلى تجريبها في الميدان وتقويمها.

* *تعدّدية منهجية:* ويترجمها تنوّع المناهج والإجراءات المعتمدة في البحوث التعليمياتية. وأهم تلك المناهج المنهج الوصفي، والتحليلي، والتجريبي، والإحصائي...

5– *الحركية والتجدد:* إن التعليميات تدرس موضوعا حركيا بامتياز، لأنه مكوّن من ظاهرتين بشريتين قابلتين للتغير ومعرضتين للتطور الدائم. كما أنها تبحث عن تطوير تقنيات وإجراءات التعليم، وذلك ما يلزمها بإعادة دراسة القضايا في ظل أي مستجدات أو مؤثرات جديدة. لأن هذا الميدان يتطلّب معارف آنية وأخرى زمانية، خاصة بكل مكونات وأطراف العملية التعليمية.

ملاحظة مهمة: ما تتميز به التعليميات من خصائص ينطبق أيضا على جميع فروعها (التعليميات العامة والتعليميات الخاصة) ، ومنها تعليميات اللغات.